

التمايز الأسلوبي في الأمثال الشعبية الجزائرية

الدكتورة: عقيلة امحمدي

جامعة خميس مليانة عين الدفلى- الجزائر

المخلص:

يمثل الأدب الشعبي مرآة صافية تعكس حياة الشعوب، والأمثال الشعبية ضرب من ضروبه تحمل في طياتها خلاصة تفكيرهم ومعتقداتهم، وهي لا تكاد تختلف عن الأمثال الفصيحة، إلا من ناحية اللغة المستعملة تقريبا، والأمثال تحتل الصدارة في حياة الناس اليومية فهي «وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان. فهي أبقي من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل ...» ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن التمايز الأسلوبي في الأمثال الشعبية الجزائرية المختلفة. الكلمات المفتاحية: الأدب الشعبي؛ الأسلوبية؛ اللسانيات؛ الأمثال.

ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه، وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه¹. قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾²، فالأمثال كما يرى بعض الباحثين هي صوت الشعب. ونلفي الأمثال «متداولة أيضا بصيغ قريبة من صيغها في بلدان المغرب العربي، وفي الأمثال العربية القديمة، لحي خير تعبير عن هذه اللحمة المجتمعية والثقافية والحضارية للشعب الجزائري الواحد، مهما تباعدت جهاته، وامتدت أراضيه. ولحي خير دليل كذلك عن هذا التداخل للنسيج الثقافي والحضاري والمجتمعي، بين مختلف الشعوب العربية في غربها وشرقها»³.

ويتمثل هذه التمايز الأسلوبي في الصيغ التي انبنت عليها هذه الأمثال الشعبية، وهي صيغة التشبيه، التي من خلالها تُعرف وتُصنف، و صيغة التكرار التي تحمل دلالات كثيرة، تضفي عليها جرس موسيقي تأنس له أذن السامع، و صيغة التناص التي تكشف عن المعين الذي استقت منه، وتتوزع هذه الصيغة على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والأمثال العربية، ولكن قبل التطرق لما سبق ذكره، وجب المرور على بعض التعريفات النظرية :

1/ مفهوم الأسلوبية:

ظهر مصطلح الأسلوبية Stylistique لأول مرة في القرن التاسع عشر ويعد نوفاليس* أول من استخدم هذا المصطلح⁴، بيد أن مفهومها العلمي المعرفي لم يتحدد إلا بظهور كتاب شارل بالي (Charle Bally - 1947) الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد مبحث في الأسلوبية الفرنسية (Traité de Stylistique Française) سنة 1909 تحديدا⁵، ويرى بيير جيرو pierre guraud أن الأسلوبية «دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي»⁶، وتحاول الأسلوبية منذ أمد ليس بالقريب أن تجيب عن كيفية كتابة النص بمختلف أنواعه، بعد تأملها العميق فيه لتبرز جماليته، وتخرج الدرر الكامنة فيه، وتظهر بريقها الدفين.

2/تعريف المثل الشعبي:

اتفق جلّ الباحثين أن مفهوم المثل الشعبي لا يخرج عن إطار الإيجاز والتشبيه، أطلقه العوام وانتشر في مختلف المناسبات، فهذا أحمد أمين يعرفه بقوله: « المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، ومزية الأمثال أنّها تنبع من كل طبقات الشعب»⁷.

ويقول جعكور مسعود بأن « المثل هو قول معروف، قصيرة العبارة، يحتوي فكرة صحيحة أو قاعدة من قواعد السلوك البشري، أطلقه شخص من عامة الناس في ظرف من الظروف، ثم انتشر بين الناس، يقولونه في مختلف المناسبات التي تشبه الحالة التي قيل فيه لأول مرة »⁸. وهو نفس ما يراه عبد المجيد عابدين أن المثل: « (هو العبارة الموجزة المعبرة عن رأي الشعب اتجاهه) ، فهو إذن ترجمان لتفكير الشعب حتى لو كان ساذجا وبسيطا، إلّا أنّه ينمّ عن تجربة أفرادهم وثقافتهم ونمط معيشتهم»⁹.

3/مصادر المثل الشعبي:

اختلفت مصادر المثل الشعبي على اختلاف أنماط حياة الناس وتنوع تقاليدهم وعاداتهم، ونجملها على سبيل المثال فيما يلي¹⁰:

1/ ما استمد من حكاية أو نكتة شعبية.

2/ ما اقتبس عن الفصحى بنصه أو بشيء من التغيير على لغتها.

3/ ما استمد من كتب التراث.

4/ المستمد من الأغاني الشعبية.

5/ ما هو خلاصة تجارب وممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب.

6/ أمثال تحمل توصيف دقيق لأعماق النفس البشرية أو التجربة الإنسانية عامة .

4/أهم خصائص المثل الشعبي:

لخصت الدكتورة نبيلة إبراهيم أهم خصائص المثل الشعبي في كتابها: أشكال التعبير في الأدب الشعبي¹¹، وعلى ضوءها أورد البحث بعض خصائص الأمثال الشعبية الجزائرية كما يلي:

- الخاصية الأولى للمثل هي استخدامه للألفاظ استخداما فنيا يبتعد عن كل تحديد لغوي، وفي وسع هذه الألفاظ أن تربط بين الأفكار ربطا قويا متماسكا، على نحو ما نجد في المثل الشعبي الجزائري الذي يقول: "المَعَاوَنَة تَغْلِبُ السَّبْعُ" فالألفاظ تربط بين الأفكار ربطا قويا لتحملها دلالات كثيرة، والشيء نفسه في المثل الشعبي الذي يقول: "الهِدْرَة فِي الْوَجْه دَوَا" استخدامه للألفاظ بشكل فني مكّنه من تكثيف المعاني بشكل مركز.

- المثل لا يعرف التركيب الموحد الذي يعرض الفكرة عرضا مسلسلا، وإنّما يقدم المثل لقطات متنوعة من التجربة، ومن خلال هذه اللقطات المتنوعة يبرز المعنى، يقول المثل الشعبي: "زَيْتُنَا فِي بَيْتِنَا وَمَنَا فِي دَقِيقَتِنَا"، ويقول مثل آخر: "لَا يَغْرُكُ نَوَازُ الدَّفْلَةِ فِي الْوَادِّ دَايِرُ الظَّلَايِلِ وَلَا يَغْرُكُ زِينَةُ الطُّفْلَةِ حَتَّى تَشُوفُ الْفَعَايِلَ"، لقطات سريعة تعبر عنها الجمل القصيرة دون تسلسل في التركيب.

- وغالبا ما يحتوي المثل على الجمل المتعارضة، التي تصور متناقضات الحياة، على نحو ما نلفي في المثل القائل: "بْنُ عَمِي بِخَلَّاسُو خَيْرُ مَنْ الْبَرَّانِي بَلْبَاسُو"، يحتوي المثل على الجمل المتعارضة التي تصور متناقضات الحياة، وبالجمل المتعارضة نفسها نجد مثل آخر يسخر بآراء النساء وتفكيرهن فينصح الرجال بمثل هذا الأسلوب المتعارض فيقول: "شَاوَرُ مَرَّتْكَ وَخَالَفَ رَأْيَهَا".

- وأبرز ما يتميز به المثل حركته الإيقاعية التي تنجم عن استخدام الوزن والإيقاع الذي من شأنه أن يصنع الشكل اللغوي المقفل، فما إن تنتهي العبارتان المتحدثتان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتى ينتهي المثل نحو: "الغِيرَةُ تَرُدُّ الْعَجُوزَةَ صَغِيرَةً"، "وَيْنُ دَمَكُ وَيْنُ هَمَكُ"، "خَسَارَةُ الْعَجِينُ وَلَا خَسَارَةُ الْيَدَيْنِ".

- وقد يستعين المثل بأسلوب التكرار فضلا عن الوزن والإيقاع وذلك لزيادة عنصر التأثير مثلما جاء في المثلين الشعبيين التاليين: "حُبَابُ حُبَابٍ وَالنِّيَّةُ مَا تَنْصَابُ"، "الْخَيْرُ مَرَا وَالشَّرُّ مَرَا".

5/ التمايز الأسلوبي الذي وقف عنده البحث :

أ/ الصيغة البنائية :

تقوم الأمثال الشعبية على صيغة شديدة التماسك، حيث لا يمكن المساس بأي مكون من مكوناتها، وهذا ما خلص إليه عبد الملك مرتاض في كتابه: الأمثال الشعبية الجزائرية، وعلى ضوء الطريقة التي حلل بها المثل القائل: احسبها كرمة وفيها كرموس ووجدتها كرمة وفيها الناموس¹².
نحلل ما يلي :

يقول المثل الشعبي: زَهْرُ الزِينَةِ فِي الْحَمَى وَزَهْرُ الشَّيْنَةِ فِي السَّيِّ.

يوجد ستة ألفاظ في المثل موزعة بالتساوي على جملتين اثنتين، حيث كل جملة بها ثلاثة ألفاظ وصيغة متماسكة متحدة، لدرجة ضم كل لفظ إلى نظيره مع وجود كل منهما في جملة:
زهر لفظ يجانس زهر.

الزينة لفظ يوازي ويوازن الشينة.

الحمى لفظ يوازي السي.

فالصيغة المعتمدة في هذا المثل واضحة فهي تعتمد على التماثل اللفظي، حيث أن الألفاظ تقوم على تشكيلتين في كل تشكيلة لفظين اثنين كما يلي:

تشكيلة (الزينة والشينة) وهي ذات طبقة بنيوية واحدة.

وتشكيلة (الحمى والسي) وهي أيضا ذات طبقة بنيوية واحدة .

ومثل شعبي آخر يقول: دَسِّي زِينَتُكَ لَا يَنْشَافُ ، وَدَسِّي شِينَتِكَ لَا يَنْعَافُ.

فالمثل مكون من جملتين عدد ألفاظهما متساوي في كل جملة ثلاثة ألفاظ، وصيغته متماسكة، وإذا قمنا بمقارنة ألفاظ الجملة الأولى بالثانية نجد :

دَسِّي لفظ يجانس دَسِّي.

وزِينَتُكَ لفظ يوازي شِينَتِكَ.

أما من حيث التماثل اللفظي، فالمثل يقوم على تشكيلتين : تشكيلة (زينك ، شينك) وهي ذات طبقة بنيوية واحدة، وتشكيلة (لاينشاف ، لاينعاف) وهي أيضا ذات طبقة بنيوية واحدة.

ب/ صيغة التشبيه:

يعد التشبيه أهم صيغة انبنى عليها المثل الشعبي، حتى وإن لم يحتوي عليه « فبنية المثل قامت على التشبيه بغض النظر إن كانت جملة المثل قد احتوت تشبيها في تركيبها أم لم تحتوي»¹³ ، ويعرف التشبيه بأنه: « بيان شيء أو أشياء شاركت غيرها في صفة، أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة »¹⁴ ، وللتشبيه أركان أربعة معروفة تتمثل في طرفي التشبيه وهما المشبه، والمشب به، الأداة على اختلاف أنواعها، ووجه الشبه، كما أن للتشبيه أنواع مختلفة نذكر منها على سبيل المثال:

1/ التشبيه البليغ: هو ما حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.

يقول المثل الشعبي: "الْخَيْرُ مَرًا وَالشَّرُّ مَرًا"، في هذا المثل ذكر طرفي التشبيه من (المشب والمشب به) حيث شبهت المرأة تارة بالخير، وتارة بالشر، وترك المثل للمتلقى إعمال الفكر، بغية الكشف عن وجه الشبه المقصود، وهو ما يفتح المجال واسعا للمبالغة في قوة التشبيه.

2/ التشبيه المرسل: وهو كل تشبيه ذكرت في الأداة .

يقول المثل الشعبي: "الْمَرَا كَالشَّعِيرَةِ وَنِ زَرْعَتَهَا تَنْبَتْ". أركان التشبيه في هذا المثل تتمثل في المشبه وهي المرأة، والمشب به وهي الشعيرة، أما أداة التشبيه تتمثل في حرف الكاف، والقاسم المشترك بين المرأة وحبّة الشعير هي القدرة على التأقلم مع مختلف الظروف والأحوال، فعندما تزوج المرأة عليها أن تتعايش مع بيئتها الجديدة، حتى تستقر وتنجب الأولاد .

3/ التشبيه التمثيلي:

هو من أنواع التشبيه الغالب على الأمثال الشعبية، وهو ما كان وجه الشبه غير يّين بنفسه بل يحتاج إلى تأويل، حيث يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد¹⁸ ، يقول المثل الشعبي: "مَزَيَانُ النِّسَاءِ بِضَحَكَاتٍ لَوْ كَانَ فِيهَا يَدُومُو، الْحُوتُ فِي الْمَاءِ يَغُومُ وَهُوَ بَلَامًا يَغُومُو". وجه الشبه في هذا المثل سرعة تغير أحوال النساء، انتزع من حال السمك في الماء لما يمتاز به من سرعة السباحة والقدرة على تغيير مساراته، حيث شبه عدم استقرار الحوت في الماء بعدم استقرار النساء في تصرفاتهم ومواقفهم بالرغم من حكمة وجمال هذه التصرفات والمواقف.

ج/ صيغة التكرار:

تكاد صيغة التكرار أن تكون الصيغة الأولى في بنية المثل الشعبي، بنوعها اللفظي والمعنوي حيث تعدّ من الصيغ التي تشكل الجرس الموسيقي له، وتعمل على سهولة حفظه وتداوله، بيد أن صيغة التكرار اللفظي هي أكثر شيوعا سواء كان التكرار في الحرف أو الكلمة أو العبارة ، ومهما كان نوع التكرار فإنه «... ييسر سيرورة المثل الشعبي، ويمكن له الشيوخ بين الرواة ، ولعل بعض ذلك مما قد يكون حملهم على الشغف بهذه الظاهرة في أسلوب أمثالهم الشعبية السائرة»¹⁵ ، ولأن تكرار الألفاظ هو الأكثر شيوعا وانتشارا سيقصر البحث

على جانبيين منه، اللفظ المكرر بشكل متوالي، واللفظ المكرر بغير توالي، أما اللفظ المكرر بشكل متوالي فمنه ما يؤكد دلالة المكرر، على نحو ما نلّفه في الأمثال الشعبية التالية :

حُبَابُ حُبَابٍ وَالنَّيَّةُ مَا تَنْصَابُ .

خُوكُ خُوكٍ لَا يُغْرُكُ صَاحِبُكَ .

اشْكُونُ يَشْكُرُكَ يَا الْعَرُوسُ ؟ يَشْكُرُنِي أُمِّي وَخَالَتِي .

والملاحظ على العينة المدروسة أن جل اللفظ المكرر يتمثل في الاسم نحو: (حُبَابُ، حُبَابٍ) (خُوكُ، خُوكٍ) للدلالة على الثبوت والاستقرار لما يبطنه المثل الشعبي من معاني وإيحاءات .

والثاني اللفظ المكرر بغير توالي، وإنما يتخلل الجملة المثلية ليؤدي دور جرس، ويعمق الدلالة بحيث يلفت النظر لقيمة اللفظ المكرر مثلما توضحه الأمثال الشعبية التالية :

النَّسَا تَتَبَطُّ بِالنَّسَا مَا شِي بِالْعَصَا .

خُسَارَةُ الْعَجِينِ وَلَا خُسَارَةُ الْيَدَيْنِ .

الْفَائِدَةُ مَا هِيَ فِي الزَّيْنِ الْفَائِدَةُ فِي الْخُلُقِ وَالِدَيْنِ .

د/صيغة التناص :

تمكن صيغة التناص من الغوص في بنية المثل الشعبي، والكشف عن عمقه وإبراز مختلف الخلفيات الفكرية والفلسفية التي يقوم عليها، ويكشف عن البيئة الثقافية والاجتماعية التي نشأ فيها ويبقى المثل الشعبي ابن بيئته، إذن لاغرو في أن يكون هذا الابن قد حمل الكثير منها ليبنى تفردته والتناص هو مجموعة من النصوص المختلفة التي تدخل في صراع لتنتج نصا جديدا، وعرفه ميشال ريفاتير Michael Riffaterre بأنه: «بناء نص ليصير كيانا نصيا لا يتحقق إلا بتوظيف نصوص عديدة تتداخل فيما بينها وتتقاطع داخل النص الجديد، مكونة له بذلك إطاره السيمولوجي الذي يختلف عن سائر النصوص التي يتضمنها فيما هو يتركب منه»¹⁶.

تتنوع صيغة التناص داخل النص الأصلي بحسب نوعية النصوص التي تتداخل معها فنلّف مثلا: التناص الديني، والتناص الأدبي، والتناص الأسطوري، والتناص الإيديولوجي، والتناص التاريخي، والتناص التراثي... إلخ، وكانت أبرزها في بنية المثل الشعبي تقنية التناص الديني بنوعها: التناص مع القرآن الكريم، والتناص مع الحديث النبوي الشريف، وكذلك تقنية التناص مع الأمثال العربية.

1/التناص مع القرآن الكريم:

تحمل الكثير من الأمثال الشعبية معان كثيرة ذكرت في القرآن الكريم؛ إما بألفاظ مباشرة، أو عن طريق التفسير، وضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه المحكم في مواطن عديدة، وقد روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال»²¹، وهذه بعض الآيات التي ذكرت فيها الأمثال على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾¹⁷

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّمَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾¹⁸.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾¹⁹.

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾²⁰.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾²¹.

يقول المثل الشعبي: "زُوجُ حَنَاشٍ فِي غَارٍ وَلَا زُوجُ بَنَاتٍ فِي دَارٍ"، وفيه تشاؤم واضح من الأنثى ومقت وجودها ككائن بشري له حقوقه الكاملة، حتى أصبحت الأنثى بمجرد ولادتها مصدر حزن وأسى، حيث يسود وجه الرجل إذا بُشِّرَ بها، وهذا ما يتناص مع قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾²².

يقول المثل الشعبي: "مَا يَتَزَاوَجُو حَتَّى يَتَشَايَهُو" وفيه حقيقة علمية فكل طرف يجذب للطرف الذي يشبهه بصفات سواء كانت باطنة أو ظاهرة، لذا على ولي الزوجة الذي أنبتها نباتا حسنا أن يتحرى لها الزوج الذي يناسبها، وهو استحضار لمعنى الآية الكريمة التي فيها الأمر التكليفي بوجوب الاختيار المناسب الذي ينبغي أن يكون من أجل ضمان حياة مستقرة ومستمرة للزوجة، وهذا مصداقا لقوله الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾²³.

يقول المثل الشعبي: "إِذَا حَلَفُوا فِيكَ النِّسَاءُ بَاتُ قَاعَدٌ وَإِذَا حَلَفُوا فِيكَ الرِّجَالُ بَاتُ رَاقِدٌ" وهذا المثل يصور شراسة المرأة وجبروتها عندما تقرر أن تمكر بأحدهم، إذ يستحضر معنى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾²⁴.

يقول المثل الشعبي: "قُعَاذُ الدَّارِ وَلَا زَوَاجُ الْفَضَائِحِ" يدعو هذا المثل إلى وجوب الإحسان إلى المرأة وإكرامها، خاصة عند انتقالها إلى بيت زوجها، وإلا من الأحسن بقائها عند أهلها حتى تبقى معززة مكرمة، مادامت معرضة للأذية المادية أو حتى المعنوية، التي لا يمكن أن تتحملها القوارير، وهذا ويتناص مع الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا﴾²⁵.

2/التناص مع الحديث الشريف:

يغدق المثل الشعبي من الحديث الشريف ألفاظا ومعان كثيرة، ويستمد منه دعائم في بنائه، على نحو ما صيغ به المثل التالي: "الْيَّيَّ يَتَزَوَّجُهَا عَلَى مَالِهَا يَمُوتُ فَقِيرٌ، وَالْيَّيَّ يَتَزَوَّجُهَا عَلَى رَجَالِهَا يَمُوتُ حَقِيرٌ، وَالْيَّيَّ يَتَزَوَّجُهَا عَلَى دِينِهَا أَحَبُّ رَبِّي وَالنَّبِيِّ الْبَشِيرُ"، وهو ما يؤكد ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف «تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِزَيْعِ لِمَالِهَا، وَحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاطْفُرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»²⁶.

يقول المثل الشعبي: "المرأ إذا شَيَّنتَ الرَّاجِلْ شَانَ وَإِذَا زَيْنَاتُوزَانْ"، وهو ما يوضح أهمية المرأة في حياة الرجل، إذ تستطيع أن تجعل من حياته جحيما، كما يمكن لها أن تحولها نعيما، وهذا سواء أكان موسرا أو معسرا لأن أحواله متوقفة على الدور المنوط بالمرأة، وهو ما يتشرب معاني الحديث الشريف عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»²⁷.

يقول المثل الشعبي: المرأ القَبِيحَةُ مَرَضٌ لِلْكَرْشِ والمرأ الزَّيْنَةُ وَجَعٌ لِرَأْسِ، يصف هذا المثل حالة المرأة عندما تبتعد عن الأخلاق الفاضلة، حيث مكن سعادتها في التحلي بها، أما عندما تتخلى عنها فستكون مصدر للضرر، مهما كانت صفاتها الخلقية من حسن أو قبح، وهو ما يتشرب معاني الحديث الشريف عندما نصح الرسول عليه الصلاة والسلام النساء في قوله: «تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَ كُنْ حَطَبَ جَهَنَّمَ»²⁸.

يقول المثل الشعبي: يَدٌ وَاحِدَةٌ مَا تَصَفَّقْ، يبين هذا المثل أهمية التعاون في حياة الناس، ويدعوهم إليه، ويؤكد لهم أن الفرد يجانب الصواب في نأيه عن الجماعة، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، يتحلى بالإتحاد والتعااضد ما يجعله متماسكا صلبا لا تقهره الصعاب، وهو ما يتناص مع قوله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»²⁹.

يقول المثل الشعبي: "الهدرة علي والمعنى على جارتِي"، يلفت هذا المثل إلى فضل التلميح عند نقد الناس، فالهدرة يعني الكلام وجب أن تكون بأسلوب غير مباشر للشخص المعني، وهو ما يستدعي معنى الحديث الشريف، أين كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصرح بأسماء المخطئين بل ينبه المخطئ بأسلوب حسن يغلب عليه التلميح لا التصريح فيقول: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟...»³⁰.

3/التناص مع الأمثال العربية:

يقول المثل الشعبي: "خُذْ بِنْتُ النَّاسِ إِذَا مَا رَنَحْتَ الْهِنَا تَرَبِّحَ الْخَلَاصْ"، يرشد هذا المثل الرجل الراغب في الزواج إلى الطريق السليم عند اختياره شريكة لحياته، فيأمره بطرق باب الأسر الكريمة والأصيلة، حتى يضمن استقراره، ويعلو نسبه بهؤلاء الناس، وهو توظيف مباشر لمعنى المثل العربي الفصيح: الْمَنَّاكِحُ الْكَرِيمَةُ مَدَارُجُ الشَّرَفِ³¹.

يقول المثل الشعبي: "اشْكُونُ يَشْكُرْكَ يَا الْعَرُوسُ؟ يَشْكُرْنِي أُمِّي وَخَالَتِي"، يدل هذا المثل على تفاخر الأهل وإعجابهم ببنائهم، فعندما تتزوج البنت تقوم الأم أو الخالة بتعداد محاسنها وتضخيمها، وذكر أوصافها وتجميلها حتى وإن لم تكن موجودة، وهذا ما يستدعي معنى المثل العربي الفصيح: مَنْ يَمْدَحُ الْعَرُوسَ إِلَّا أَهْلُهَا؟³².

يقول المثل الشعبي: "اللِّي يَحَبُّ الزَّيْنَ يَصْبِرْ لَعَذَابُو". ويقصد بذلك أن من أراد الأفضل والأجمل فعليه تحمل الأعباء المختلفة للوصول إلى ضالته المقصودة، فالشيء النفيس يصعب الوصول إليه بسهولة، مما يفرض على المرء التسليح بالصبر، حتى يستطيع مجابهة الصعاب ماديا ومعنويا، وهو يستدعي بذلك معنى المثل العربي الفصيح: مَنْ يَنْكِحُ الْحَسَنَاءَ يُعْطِ مَهْرَهَا³³.

يقول المثل الشعبي: "كُلْ خَنْفُوسٌ عِنْدَ أُمِّهِ غَزَالٌ"، يبين هذا المثل منزلة الأبناء عند الأمهات، فالولد مهما كان شكله إلا أنه في نظر أمه أجمل مخلوق في الوجود، وهو ما يتناص مع المثل العربي الفصيح: أَلْقَرْنَبِي فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ³⁴، والقربي هي دويبة مثل الخنفساء، منقطعة الظهر، طويلة القوام.

وخلاصة القول، بعد هذه الإطلالة السريعة عند التمايز الأسلوبي في الأمثال الشعبية الجزائرية، أين كشف البحث عن تلك الصيغ التي كانت الأبرز في التجلي، فحضور الأمثال العربية الفصيحة لفظاً ومعنى في الأمثال الشعبية يستجلي سموها وتعلقها التام بالفصحى، كما أنه أَمَاط اللثام عن المنهل العذب الذي ارتشفت منه هذه الأمثال الشعبية، ولأمس الماء الزلال الذي تشرّبه جملها، وتجسد ذلك كله في استعمالها لمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من استدعاء مباشر أو غير مباشر لهذه المعاني والتناص معها، مما يكشف عن الثقافة الدينية الإسلامية للجزائريين، والتي هي عماد الأمثال الشعبية.

الإحالات:

- 1- الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 1404هـ-1983م، ص 3.
- 2- سورة الحج، الآية 73.
- 3- أمثال جزائرية، عبد الحميد بن هدوقة، ص8، نقلا عن عبد الحميد بورايو، في الثقافة الشعبية الجزائرية (التاريخ والقضايا والتجليات)، فيسيرا للنشر، الجزائر، دط، 2011، ص 153.
- 4- بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2، 1994، ص9.
- *فريدريك نوفاليس (Friedrich Novalis)، كاتب ألماني يلقب بالبارون فون هردنبرغ، عاش بين سنتي (1772-1801) م.
- 5- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 1429هـ - 2008م، ص175.
- 6- بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، ص13.
- 10- أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد المصرية، ص61، نقلا عن نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دط، ص174.
- 7- جعكور مسعود، حكم وأمثال شعبية جزائرية، طبعة جديدة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص6.
- 8- بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2009، ص 66.
- 9- جمال طاهر، داليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية www.kotobarabia.com ص28.
- 10- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 145، 146.
- 11- عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1982، ص 132.
- 12- أماني سليمان داود، الأمثال العربية القديمة، (دراسة أسلوبية سردية حضارية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2009، ص 177.
- 13- بولرباح عثمان، دراسات نقدية في الأدب الشعبي، ص 71.
- 14- ينظر المرجع نفسه، ص72.
- 15- عبد الملك مرتاض، الأمثال الشعبية الجزائرية، ص173.
- 16- سليمان كاصد، عالم النص، دراسة بنيوية في الأساليب السردية، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، دط، ص 242.
- 17- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة، ط1، 1980م، ص486.
- 18- سورة إبراهيم، من الآية 25.
- 19- سورة العنكبوت، الآية 43.
- 20- سورة الروم، الآية 58.

- 21- سورة الحشر، الآية 25.
- 22- سورة الروم، الآية 27.
- 23- سورة النحل، الآية 58.
- 24- سورة النور، الآية 26.
- 25- سورة يوسف، من الآية 28.
- 26- سورة البقرة، من الآية 231.
- 27- أحمد بن بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبع على نفقة الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، ج9، تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبه الحمد، ط1، 1421هـ-2001م، ص38.
- 28- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريازي أبو قتيبة، دار طيبة، ط1، 1427هـ، 2006م، ص 672.
- 29- المرجع نفسه، ص392.
- 30- م نفسه، ص 1201.
- 31- م ن، ص 631.
- 32- أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، النيسابوري، حققه، وفصله، وضبط غرائبه، وعلق حواشيه، محمد معي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج2، 1373هـ-1955م، ص289.
- 33- المرجع نفسه، ج2، ص 311.
- 34- م نفسه، ج2، ص 300.
- 35- م ن، ج2، ص 97.